منهج النقد للمستوى السادس.

سمات عامة للشعر عند المحدثين :

– التحديد الزمني للقديم والحديث :

هو القديم عندهم، والحديث عندهم، وهو بالنسبة لنا قديم وليس حديث .

– ماذا نعني بالقديم وماذا نعني بالحديث؟

الأدب القديم هو: العصر الجاهلي، وعصر صدر الإسلام (أي عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصر خلفائه)، والعصر الأموي. وينتهي بعد جرير والفرزدق بقليل .

العصر الحديث: يبدأ قُبيل قيام الدولة العباسيّة ويشمل ما بعدها، أي : في نهايات الدولة الأمويّة .

– ماهي سمات الشعر عند القدامى والمحدثين ؟ (السمات العامة).

سمات الشعر الجاهلي:

1- عمود الشعر والجزالة والقوة في الألفاظ، فقدكانت حوشية وغريبة (لماذا؟) لمناسبتها لبيئته الجافة الصحراوية، وحياته القائمة على السفر والترحال والغارات، فحياته فيها قسوة وصلابة وجفاف، فانعكست على ألفاظه ومثال ذلك: المعلّقات الجاهليّة .

2- طول القصائد (لماذا؟)؛ لماكان يتمتّع الجاهليُّ به من صبر وقوّة وجلَد إزاء بيئته، فجاءت قصائده طويلة النَّفَس .

3- المقدمة الطلليّة (لماذا؟) يذكر فيها محبوبته النائية، وآثار بقايا دارها التي أقامت بها زمنا، ثم يصف الرحيل والراحلة، والمفاوز وما تجشّمه من أهوال، ثم يدلف إلى غرضه الرئيس من القصيدة فيمدح أو يفخر.

–من أوّل من وقف على الأطلال؟ امرؤ القيس .

سمات القصيدة في العصر الإسلامي (صدر الإسلام: عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه من بعده) :

1- ظل الشعر كالشعر الجاهلي من حيث بناء القصيدة، وجزالة العبارة، وفخامة اللفظ.

2- ضبط الشعر فجعلت له ضوابط، تتمثل في:

أ- رفض الغزل الفاحش، والهجاء المقذع، والعصبية القبليّة، وحرّم الخمر الذي كان وقودَ الشعر .

ب- غيّر النظرة إلى الموت (مثال ذلك: الشهيد) وأثر ذلك ظهر جليّا مثلا على شعر الرثاء كالخنساء.

ج- أقرّ بعض الأمور الموجودة عند الجاهليين من محاسن الأخلاق (كالكرم، والشجاعة، والصبر) لكنّه غيّر في الهدف والمقصد والغاية التي لأجلها تُفعل وتبذل (لماذا تُؤدّى؟) مثال ذلك: غض الطرف عند عنترة لمّا قال:

وأغضُّ طرْفي إن بدتْ ليَ جارتي ... حتّى يواري جارتي مأواها

ويقابله قول الله تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم).

4- قلّ الشعر في عصر صدر الإسلام (لماذا؟) لأمور:

أ- انشغالهم بلذّة الروحانيات، وقد سئل لَبيد بنُ ربيعةَ، عن قلّة شعره بعد الإسلام، فقال: أبدلني الله بالبقرة وآل عمران .

ب- ولانشغالهم بتعلّم الدين الجديد وتتبّع أخباره.

ج- ظهر لهم مجال إبداعي جديد فكان الإبداع في الشعر والفروسيّة، وبعد الإسلام تعدّدت المجالات الإبداعيّة، فأصبح الإنسان يُبدع في تعلم الدين الجديد مثل : (الفقه والتفسير ورواية الأحاديث).

سمات الشعر في العصر الأموي

لم يتغيّر الشعر في العصر الأموي عن نهج الشعر العربي القديم، وظل الشعر الأموي كالشعر الجاهلي من حيث :

1- جزالة العبارة ومتانة اللفظ ونجد ذلك عند: جرير والفرزدق والأخطل وذي الرمّة .

2- التغير الذي حدث هو تغيُّر يسير في الأغراض مثل : النقائض واشتدّ الهجاء وقوي .

3- أثّر القرآن في الألفاظ وجعلها سهلة لينة (في العصر الإسلامي عموما) من حيث: صفاء الأسلوب، والبعد عن وعورة الألفاظ مثل: كعب بن زهير (صدر الإسلام) وجرير والفرزدق(العصر الأموي). إلا أن الشعر لا يزال محتفظا بروح الشعر الجاهلي من حيث : (القوة والجزالة والمتانة) **لذلك كان الشعر الإسلامي مساويًا للشعر الجاهلي** وذلك عند النحويين واللغويين في الاستشهاد به والاحتجاج به وجعله من شواهد اللغة والنحو .

سمات الشعر في العصر العباسي :

الحياة في العصر العباسي اختلفت اختلافا كبيرا عمّا كانت عليه في العصر الجاهلي، والشاعر ابن بيئته يتأثّر بالعوامل المحيطة به، فكان شعره مرآةً لعصره، **ومن أبرز التغيرات في المجتمع العباسي**:

1- توطدت العلاقة بين العرب والأمم الأخرى من الفرس والروم، فأصبح بينهم ولاء وإقامة ومصاهرة فظهر نتيجة ذلك: (الشعراء المولدون) وهم الذين من أمهات غير عربيات كأبي نواس، وبشّار بن برد.

2- قلّت عندهم البداوة، وانتقل الناس إلى الحاضرة، وأصبح هناك نهضة علميّة وتأليف وصل لحد الترجمة (تطوروا بشكل عام).

3- ظهر المجون والزندقة وتغيّرت أصول الأخلاق .

فكانت هناك ثورة اجتماعيّة وتغيّر جذري في المجتمع، فظهرت الدعوة إلى التجديد على يد الشعراء المولدين .

وأبرز مظاهر التجديد:

1- الثورة على المقدّمة الطللية، وأبرز من ثار عليها: أبو نواس، في قوله:

قُلْ لمن يبكي على رَسْمٍ درَس... واقفًا، ما ضرّ لو كان جلَس!

ومن الشعراء العباسيين من بدأ قصيدته بذكر النعيم والرياض، والورود والقصور، والمتنبي مثلا بدأ قصيدته بحكمة:

الرأيُ قبل شجاعة الشجعانِ ... هو أوّلٌ، وهو المحلُّ الثاني

وقد ترك الشعراء العباسيون المقدمة الطللية؛ لاختلاف البيئة، فالمقدمة الطللية مثّلت الحياة الجاهلية وصوّرتها، فالشاعر الجاهلي لا غرابة في وقوفه على ديار المحبوبة، إما وقوفًا حقيقيا أو مجازيًّا من باب الخيال، ووصفه للرحلة والراحلة هو من صميم حياته، في حين أنّ الشاعر العباسي كان يقيم في الحواضر والمدن، ويتردد على قصور الخلفاء، ويقف على ضفاف الأنهار (دجلة والفرات) ويعيش حياةً رغيدةً هانئة، فأيُّ شيءٍ يدعوه ليصف صحراء لم يقطعها، وأطلالًا لم يقف عليها؟ فهو لا بد له من تصوير حياته، فأبو نُوَاس مثلا، بدأ بوصف الخمر مباشرة، لأنها حياته وجزء منه.

2- الإكثار من البديع : وهو الفن البلاغي المعروف (من جناس، وسجع، ومقابلة، وطباق...) وليس بفن جديد. ولكنّ الجديد هو الإكثار منه والولع به إلى حد التكلُّف والإسراف بالزخرفة اللفظيّة، مخالفين بذلك الطبع والفطرة والسليقة . **ومن رواده:** أبو تمّام، وبشار بن برد، ومسلم بن الوليد، وأبو نواس. فقد أصبح في بعض شعرهم تلاعبٌ بالألفاظ.

ومن الشواهد على ذلك: قصة القاضي:

أيها القاضي بقُم ... قد عزلناك فقمْ

3- التجديد في الأوزان : حيث أوجدوا أوزانًا شعرية جديدة غير أوزان الخليل، استحدثوها رغبةً في التجديد لا غير، ومن الأوزان الجديدة: المنسرد (وهو مقلوب المضارع) والمستطيل (وهو مقلوب الطويل)، والمتّئد (وهو مقلوب المجتثّ) ، والممتدّ (وهو مقلوب المديد) . وممن استحدث أوزانا شعريّة: بشّار بن برد، وأبو العتاهية.

المقدمة الطلليّة في عصر صدر الإسلام:

ممن استخدمها: حسان بن ثابت، وعبدالله بن رواحة .

المقدمة الطلليّة في العصر الأموي :

اشتهر ذو الرمة بالإطالة في المقدمة الطللية، وبوصف الناقة. وجرير لا يزال محافظا على المقدمة الطللية وخصوصا في قصائد المدح .

المقدمة الطللية في العصر العباسي :

هناك من ثار على المقدمة الطللية مثل: أبو نواس فقد قال:

قل لمن يبكي على رسم درس ... واقفا ماضر لو كان جلس!

وبدأ في شعره بوصف الخمر، ومن الشعراء العباسيين من بدأ شعره بذكر النعيم والقصور والورود والرِّياض وقد بدأ المتنبي قصيدته بحكمة فقال:

الرأي قبل شجاعة الشجعان... هو أول وهو المحل الثاني

لماذا ترك بعض الشعراء المقدمة الطللية ؟

وقد ترك الشعراء العباسيون المقدمة الطللية؛ لاختلاف البيئة، فالمقدمة الطللية مثّلت الحياة الجاهلية وصوّرتها، فالشاعر الجاهلي لا غرابة في وقوفه على ديار المحبوبة، إما وقوفًا حقيقيا أو مجازيًّا من باب الخيال، ووصفه للرحلة والراحلة هو من صميم حياته، في حين أنّ الشاعر العباسي كان يقيم في الحواضر والمدن، ويتردد على قصور الخلفاء، ويقف على ضفاف الأنهار (دجلة والفرات) ويعيش حياةً رغيدةً هانئة، فأيُّ شيءٍ يدعوه ليصف صحراء لم يقطعها، وأطلالًا لم يقف عليها؟ فهو لا بد له من تصوير حياته، فأبو نُوَاس مثلا، بدأ بوصف الخمر مباشرة، لأنها حياته وجزء منه.

قضيّة القديم والجديد:

ثمّة فئة من النقّاد رفضوا هذا التجديد الطارئ في الشعر العباسي، وهم فئة من اللغويّين والنحْويين، فقد رفضوا هذا الشعر الحديث، وتعصبوا للشعر القديم، وثلاثة من اللغويّين البارزين:

1- أبو عمرو بن العلاء. 2- الأصمعي. 3- وابن الأعرابي.

- ويُروى أن الأصمعي لما أنشده أحدهم قصيدةً، أُعجب بها إعجابًا كبيرًا، ولاقت في نفسه استحسانًا، فقيل له: إنّها لليلتها (أي أنها حديثة) فقال: خرّقْ خرّقْ، إنّ أثر التكلّف فيها بيّن.

- وأبو عمرو بن العلاء بالغ في تعصّبه مبالغةً شديدة؛ إذ يقول: لو أدرك الأخطلُ يومًا واحدًا من الجاهليّة، ما قدّمتُ عليه أحدًا.

فقد قال أبو عمرو بن العلاء في شعر الأخطل، وهو من القديم (الأمويّ) تلك المقولة، برغم ما كان يتّسم به شعرُ الأمويّين من قوّة، واحتجاج اللغويين به، فإن كان هذا شأن أبي عمرو بن العلاء مع القدماء، فكيف به مع المحدثين! .

- أما ابن الأعرابي فقد قال عن المُحدثين: أشعارُ هؤلاء المحدثين، كأبي نُواس وغيره، مثل الريحان، يُشمُّ يومًا فيذوي، وأشعار القُدماء مثل المسك والعنبر، كلّما حرّكته ازداد طيبًا.

وهو يشير إلى أصالة الشعر القديم الجاهليّ وعلوّ شأنه.

فهؤلاء اللغويّون ينظرون إلى الزمن لا إلى الشعر، فإنهم يستجيدون القصيدة إذا لم يعلموا أنها حديثة، وإن علموا استخفوا بها وازدروها.

وثمّة أسباب دفعتهم إلى التعصّب للقديم:

1- حاجتهم إلى الاستشهاد والشاهد الشعريّ في اللغة والنحو؛ ليضعوا قواعد اللغة والنحو، ويستفيدوا بشعر العرب، فلا بُدّ أن يكون هذا الشعر صحيحا سليمًا، وافدًا من البادية.

والشعراء الحديثون يسكنون الحواضر التي يختلط بها جميع الأجناس.

2- الحفاظ على اللغة العربية؛ دعتهم إلى مجانبة هذا الشعر المُحدث؛ لما فيه من ليونة ولبعده عن الصحراء، وموئل العرب، فكثير من هؤلاء الشعراء من أمّهات غير عربيات (كبشار بن برد، وأبي نواس) اختلطوا بالأعاجم، فربما ورد في شعرهم كلمة غير فصيحة أو لحن.

3- ولحرصهم على الدين وتعاليمه، فقد شعروا بمسؤولية كبيرة تجاه الأمة الإسلامية؛ لأن اللغة العربية إن لم يستطع فهمها العرب، لن يستطيعوا فهم القرآن وأحكامه.

وأبو عمرو بن العلاء أحد القُرّاء السبعة للقرآن الكريم، فقد شعر بمسؤوليته تجاه القرآن الكريم، وأنّ الحفاظ على اللغة إنما هو لأجل تعاليم الدين وأحكام الشرع الواردة في القرآن الكريم.

فبعض الكلمات في القرآن الكريم تُفسّر ويُفهم معناها من الشعر الجاهلي؛ لنزوله على العرب في الجاهلية وبلغتهم، فإن أراد المفسّرون معرفة كلمة في القرآن الكريم، رجعوا إلى استعمالها في الشعر الجاهلي.

فابن عباس رغم ملازمته لرسول الله صلى الله عليه وسلّم، وقد كان ضليعا بالتفسير، كان يقول رضي الله عنه: كنتُ لا أدري ما (فاطر السماوات والأرض)، حتى أتاني أعرابيّان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتُها (بمعنى: أنا بدأتها وأنشأتها).

وهذا يدلُّ على أنّ لغة العرب القدماء كانت تعين على تفسير القرآن وفهمه، سواء كان ذلك في شعرهم أو غيره.

القرن الثالث الهجري

سمات النقد في القرن الثالث:

1- كان القرن الثالث الهجريّ عهدًا خصبًا بالرجال والأفكار، والولع بالمعرفة، والازدهار العلمي الشديد، واختلاط العرب بالأعاجم، وترجمة العلوم، وتأثّر النقد بهذه العوامل، **فلم يعد سهلا فطريّا كما كان، بل أصبح متشعّبًا، دقيقًا، وفيه ترتيبٌ وتنظيم.**

2- استمرّت طائفة اللغويين في نصرتهم للقديم، وعَدِّه المثل الأعلى، والنموذج الأسمى، وقلّما يتعرضون لتحليل شعر المُحدثين، ولا يتقبلون منه إلا ما جارى الشعر القديم، مثل: شعر البحتري.

أما أبو تمّام، فينهالون عليه باللوم؛ لكونه جاء على غير مذهب العرب في المعنى والصياغة.

3- ثمّة فئة أخرى من النقّاد عنيت بالشعر المُحدث، وأقبلت على تحليله، وهي فئة (الأدباء) وعلى رأس هؤلاء: ابن المعتزّ. الذي عُني بشعر أبي تمّام، فكتب عمّا في شعره من تكلّف، وسرقة، ورداءة مطالع، وفساد المعاني.

فعناية ابن المعتزّ وإن كانت أبرزت النواحي السلبيّة في شعر أبي تمّام، إلا أنه لم يرفض شعره تماما وينصرف عنه كما فعل اللغويّون، فيكفي من ابن المعتزّ وقوفه على شعر أبي تمام والنظر فيه.

الشعر والشعراء لابن قتيبة:

-خصائص الكتاب:

1- وقف ابن قتيبة موقفًا وسطًا من المُحدثين والقدماء، فأثبت جودة الشعر لهؤلاء وهؤلاء، لأنه يرى أنه لا صلة بين القدم والحداثة في الجودة الفنّية، فذكر مجموعةً من الشعراء المُحدثين، وتعرّض لشعرهم، فخالف بذلك سابقيه من النقّاد المتعصّبين.

2 – التنظيم والتحديد والتقسيم، الذي ميّز كتابه، كما في:

أ- تقسيمه المعروف للشعر إلى أربعة أقسام، بناءً على:

اللفظ والمعنى: 1- أولًا: ما حَسُن لفظه ومعناه . 2- ثانيا: ما حَسُن لفظه دون معناه .3- ما حَسُن معناه دون لفظه. 4- ما ساء لفظه ومعناه.

ب- وتقسيمه الشعراء إلى مطبوعين ومتكلّفين، فالتكلّف يظهر بارزًا في التحايل والتلاعب اللفظي عند الشاعر المصنوع.

– الأقسام الأربعة للشعر عند ابن قتيبة:

أ- ما حَسُن لفظه ومعناه:

أورد ابن قتيبة في هذا القسم عدّة أبيات، منها: قول أوْس بن حجَر:

أيّتها النفسُ أجملي جزعا ...إنّ الذي تحذرين قد وقعا

يقول: لم يبتدئ أحدٌ مرْثيَةً أحسن من هذا.

وقالوا: بأنّ هذا البيت من أجمل المطالع.

(لماذا استخدم الشاعر أسلوب التجريد مخاطبًا نفسه، ومعزّيًا لها؟ لأنه لم يجد أحدًا خيرًا من نفسه يستحق تعزيته)

(ولِمَ لم يقل (لا تجزعي)؟ وقال: أجملي جزعا؟ لأن الجزع لا بدّ واقع، وإنما طلب أن يكون جزعها جزعا جميلا) .

ومن الأبيات التي ذكرها ابن قتيبة كذلك تحت هذا القسم، قول الشاعر:

يُغْضي حياءً ويُغضى من مهابته ... فما يُكلَّمُ إلا حين يبتسمُ

قيل: إنّ البيت للفرزدق، قاله في زين العابدين بن عليّ، وهناك من نفاها عن الفرزدق، مُشكّكًا صحّة القصيدة، لأسبابٍ عقليّة؛ ذلك أنّ القصيدة تتّسم باللين والسهولة، وشعر الفرزدق معروف أنه يتّسم بالصلابة، والصلافة.

وقيل كذلك: إنه ارتجلها ارتجالا، وذلك ينافي طبيعة الفرزدق.

ومعنى (يُغضي) : من أغضى عينه، أي: أطبقها حتى لا يبصر شيئًا، ومنه غضّ البصر. فالإغضاء: إدناء الجفون.

فهو يطبق جفنيه؛ حياءً من الناس، ويُغضى من مهابته: أي أنّ الناس لا يستطيعون النظر إليه مهابةً منه.

فذلك دلالةٌ على أنّ الممدوح قد جمع بين خصلتين: الحياء والمهابة.

(فلا يُكلّمُ إلا حين يبتسمُ) : أي أنّ الناس لا يكلمونه إلا حين رؤيته مبتسما.

*لمَ قال: يُغضي حياءً، ثم تلا ذلك بقوله: يُغضى من مهابته، فلم يكتفِ بقوله الأول؟ لئلّا يظنّ السامع أنّ حياءه ناتجٌ من ضعفه، أو لينٍ فيه، أو رقّة، فاستدرك وأثبت له المهابة.

*ولمَ لم يقل (يُغضى من مهابته) فقط؟ لأنه لو قال ذلك واقتصر عليه، وأثبت له الهيبة دون الحياء، لظنّ السامع أنّ هيبته تلك ناتجة عن تسلّط وقهر وجبروت وظلم، لكنه جمع للممدوح بين الصفتين، وأنها فيه مزيّة اختصه الله بها.

قوله (فما يُكلَّمُ إلا حين يبتسمُ) : لو قيل هذه العبارة فقط، لظنّ السامع أنّه دائم التجهّم والانقباض، فهذا الشطر لا تصلح قراءته وحدها دون الشطر الأول، لأنّ قراءته وحدها تجعل من البيت كأنه قيل في الهجاء لا المدح، فالشطران متلازمان، لا تكتمل صورة أحدهما دون الآخر.

وقول ابن قتيبة عن هذا البيت: (لم يُقَلْ في الهيبة شيء أحسن منه) ، فيه دلالة على أن الذي أعجب ابن قتيبة في هذا البيت هي قدرة الشاعر على الجمع بين صفتين متناقضتين: الحياء والهيبة.

ومن الأبيات كذلك التي ذكرها ابن قتيبة في هذا القسم (ما حَسُن لفظه ومعناه) :

قول أبي ذؤيب الهُذليّ:

والنَّفسُ راغبةٌ إذا رغّبتها ... وإذا تُردُّ إلى قليلٍ تقْنعُ

فالشطر الأوّل: أنّ النفس حين تُعوَّد على الترغيب والزيادة، تسترسل إلى تلك الزيادة وتتطلّع وتطمع بالمزيد.

والشطر الآخر: أنّ النفس إذا عُوِّدت على القليل أُقنعت، واكتفت ورضتْ باليسير.

روى ابن قتيبة عن الأصمعيّ، قال الأصمعيّ عن هذا البيت: إنّه أبدَعُ بيتٍ قالته العرب.

فقول الأصمعيّ فيه مبالغة، فالحكم المطلق غير متحقّق دون دراسة واستقصاء.

*ما الذي أعجب ابن قتيبة في بيت أبي ذؤيب الهذليّ؟ أُعجب بحكمة هذا البيت والبُعد النفسي فيه.

ومن الأبيات التي أوردها ابن قتيبة في هذا القسم كذلك (ما حَسُن لفظه ومعناه) ، قول الشاعر:

أرى بصري قد رابني بعد صحّةٍ ... وحسبُكَ داءً أن تصحَّ وتسقُما

والريبة جاءت هنا بمعنى الخيانة، فصوّر البصر كأنه صديقٌ يصحب الشخص طَوال حياته، ثم يهجره ويُدبر عنه في نهاية حياته.

قول ابن قتيبة عن هذا البيت: إنّه لم يُقَلْ في الكبر أحسن منه. (فهل في هذه المقولة مبالغة؟) لا. لأنه لم يُطلق الحُكم إطلاقا عامًّا كما فعل الأصمعيّ، لكنّه خصّص الموضوع (الكبر)، فهذه وإن كانت مبالغة، إلا أنها مبالغةٌ مستساغة مقبولة.

القسم الثاني من الشعر عند ابن قتيبة:

(ما حَسُن لفظه دون معناه)

فإذا فتّشته، لم تجد فائدةً لمعنى:

وأورد على ذلك مثالًا، وهو قول كُثيّر عزّة:

ولمّا قضينا من مِنى كلَّ حاجةٍ ... ومَسّحَ بالأركانِ منْ هو ماسحُ

وشُدّتْ على حُدبِ المُهارى رحالُنا ... ولم ينظرْ الغادي الذي هو رائحُ

أخذنا بأطرافِ الأحاديثِ بيننا ... وسالتْ بأعناقِ المطيِّ الأباطحُ

ففي البيت الأول دلالةٌ على انتهائهم من أداء الحجّ وفراغهم من النسك.

وفي البيت الأول في قوله (ولمّا قضينا من منى كلَّ حاجةٍ) كناية عن انتهاء الحجّ، وفي قوله (ومسّح بالأركانِ من هو ماسحُ) كنايةٌ عن انتهاء طواف الوداع.

وفي البيت الثاني: (وشُدَّتْ على حُدْبِ المُهارى رحالُنا): كناية عن الاستعداد للرحيل، وفي الشطر الثاني منه (ولم ينظر الغادي...) كنايةٌ عن الانشغال الشديد بالإعداد لهذا الرحيل.

وفي البيت الثالث: ربما أن الحديث الذي عناه كان بينه ومحبوبته، أو بينه وسواها.

تعليق ابن قتيبة على هذا البيت: " هذه الألفاظ كما ترى أحسن شيء مخارج ومطالع ومقاطع، إن نظرت إلى ما تحته من المعنى وجدته: ولما قطعنا أيام منى، واستلمنا الأركان، وعالينا إبلنا الأنضاء، ومضى الناس لا ينتظر الغادي الرائح، ابتدأنا الحديث، وسارت المطيُّ في الأبطح" فقصد أنّ لفظها حسن، لكن لا فائدة فيها.

فقد ركّز ابن قتيبة في نقده على جانبين (اللفظ والمعنى) فحكم بالجودة على اللفظ دون المعنى.

وأغفل ابن قتيبة جانبًا مهمًّا في الشعر، وهو: الصورة البيانيّة.

ففي قول الشاعر: (وسالت بأعناق المطيِّ الأباطح) تشبيه بديع، فشبّه امتلاء الأرض المستوية بالمطيّ بصورة المطر وهو يملؤ الأرض. فدلّ ذلك على أن سيلانها بدل مسيرها كان سهلا يسيرا، ولما قال (بأعناق المطيّ) : حدّد الأعناق ليشير إلى الازدحام والكثرة في ذلك الموقف. وربما يكون تخصيصه للأعناق دون سواها من الإبل، أنّ حركة الإبل أكثر ما تظهر في أعناقها، وأكثر ما يميزها أنها حركةٌ ترددية، كحركة أمواج السيل.

-فابن قتيبة لم يعجبه هذا البيت (عللي) لأن ابن قتيبة يُعنى بالتجارب العامّة وبالحكمة، وهذه الأبيات تحكي تجربة شخصية خاصة، وما قبلها في القسم السابق (ما حَسُن لفظه ومعناه) نرى أنه استحسن أبياتا تناولت أمورًا عامة وتجارب تصدق على كثيرين.

القرن الرابع الهجريّ.

سمات النقد في هذا القرن:

1-كان النقدُ – في هذا العصر – امتدادا لما كان عليه النقد في القرن الثالث الهجري، بل إنه وصل إلى ذروته في الازدهار خلال القرن الرابع الهجري، فكان خصبًا مُتّسع الأفق.

2- شُغل الناس بأبي تمّام والبُحتري، والمفاضلة بينهما، ثم انصرفوا إلى مالئ الدنيا وشاغل الناس (المتنبّي) فأكثروا فيه الكلام، وصنّفوا فيه الكتب.

3- إنّ النقد في هذا العصر اعتمد على الذوق وإعماله، متمتّعا هذا الذوق بأنّه سليمٌ وفطريٌّ.

4- ظهر في هذا العصر علمٌ جديد، هو (علم الفلسفة أو المنطق) وقد أفاد النقد من هذا العلم بما شاع في ذلك العصر منه، وذلك في إصدار الأحكام النقديّة، والتعليل لها، وفي الجدال والمناقشة.

(ماذا عن فئة اللغويين في هذا العصر؟)

خفّ وقلّ وكاد أن يُمحى نقدُ اللغويّين والنحويين، فعلى الرغم من وجود العلماء المبرزين في هذا العصر، إلا أنه ليس لهم أثرٌ واضح في النقد.

مثال من كان من اللغويين والنحويين في ذلك العصر: ابن دُريد، فهو عالم في اللغة، ولم نجد له أثرا في النقد، وكذلك ابن الأنباريّ.

5- حفَل العصر بعددٍ من النقّاد والمتميّزين، أبرزهم: الآمديّ، والقاضي علي بن عبدالعزيز الجرجانيّ، وقدامة بن جعفر، وأبو بكر الصُولِيّ.

الناقد الآمدي في كتابه: (الموازنة بين أبي تمام والبحتري)

موضوع الكتاب: هو الموازنة بين الشاعرين: أبي تمام، فتعرّض لكثير من شؤون الشعر العربي وخاصة المُحدث منه، كما يتناول قضايا بلاغيّة (كالجناس والتشبيه والاستعارة) ونحو ذلك.

وينزع إلى الاعتذار عن المحدثين فيما سقطوا فيه من أخطاء، ويورد أخطاء الجاهليين والإسلاميين؛ ليثبت أنّ اللحن (الخطأ النحوي) أمر لا يكاد يسلم منها شاعر، حتى القدماء منهم.

وقد اتهم بعض النقاد (الآمدي) بالتعصب مع (البحتري) ضد أبي تمام، وأنّه جدّ وأجتهد في طمس محاسن شعر أبي تمام .

الناقد قدامة بنُ جعفر في كتابه: (نقد الشعر)

ومن أبرز النقّاد الذين أفادوا من المنطق والفلسفة إفادة كبرى في النقد: قُدامة بن جعفر.

وارتبط اسمه بأنه أوّل من عرّف الشعر، والأصحّ أن يقال: من الأوائل الذين عرّفوا الشعر. وقد عرّف الشعر بقوله: قولٌ موزون مقفى، يدل على معنى .

ويعني ذلك أنّ الشعر عنده من أربعة أركان رئيسة: 1- اللفظ. 2- المعنى. 3- الوزن. 4- القافية.

وقد ركز على المعنى بخلاف ابن قتيبة الذي ركز على اللفظ والمعنى .

ومن شروط التعريف أن يكون جامعًا مانعًا، وتعريف قدامة للشعر تعرّض لانتقاد، وقيل: بأنه غير مانع وإن كان جامعًا، بمعنى: أنه لا يمنع غير الشعر من الدخول في التعريف.

ففي تعريفه (كلامٌ موزون مقفّى يدلّ على معنى).

يجعل من بعض الآيات القرآنيّة ينطبق عليها هذا التعريف، ومن ذلك قوله تعالى: (من تزكى فإنما يتزكى لنفسه) وقوله: (وأخرجت الأرض أثقالها) . وقوله: (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (أنا النبيُّ لا كذب، أنا ابنُ عبد المطلب) بل إن من أقوال العامة ما هو موزون ومنه قول بائع الخضار : (من يشتري باذنجان) على وزن

(مستفعلن مفعولات).

وقول أحد الغلمان : (اذهبوا بي إلى الطبيب وقولوا قد اكتوى) على وزن (فاعلاتن فاعلن) من مجزوء الخفيف.

وقول أحدهم : (أغلق الباب وائتنا بالطعام) فهذه جاءت على وزن شعريّ.

وهذه شواهد تدلّ على أن تعريف قدامة للشعر، غير مانع بمعنى: أنه دخل معه غير الشعر من كلام الله عزّ وجلّ، وكلام نبيّه صلى الله عليه وسلّم وكلام العامّة وأقوالهم وكلّها من النثر.

ويُردُّ على النقّاد الذين اعترضوا على قدامة في تعريفه، بقول:

1- إنّ تعريف الشعر في بدايته، وهو من الأوائل ممن تحدث عن تعريف الشعر وكل شيء في بدايته يعتريه النقص والقصور، ويُعذر قدامة لذلك.

2- إن قدامة بن جعفر ذكر شرط القافية، ويدلُّ ذلك على أنه اشترط بناءً شعريًّا كاملًا حتى يُحكمَ عليه بالشعر، ولا يمكن أن تسمّى القافية بقافية، إلا حينما تكون في بناءٍ شعري تام.

فالشعر عنده قائمٌ على أربعة أركان: (لفظ ومعنى ووزن وقافية) خلافًا لابن قتيبة الذي نظر للّفظ والمعنى فقط .

وبناء على ذلك فقد قسّم الشعراء على الأركان الأربعة حسب الائتلاف والاختلاف:

1- ائتلاف اللفظ والمعنى .

2- ائتلاف اللفظ مع الوزن.

3- ائتلاف المعنى مع الوزن.

4- ائتلاف المعنى مع القافية .

1- فمن الأوّل (ائتلاف اللفظ والمعنى) :

وهو أن يكون تجانس بين اللفظ والمعنى، فإذا كان المعنى فخما يكون اللفظ فخمًا فإن كان المعنى يدور في الغزل، جاءت ألفاظه رقيقة تناسبه، وإن كان في الفخر تكون الألفاظ فيه جزلة، وإن كان في الهجاء جاءت ألفاظه قوية وهكذا ...فحروف الإطباق مثلا (ط، ظ، ض) حروف قويّة تناسب موضوع الحماسة والفخر. وحروف الصفير (ص، ز، س) تناسب الحزن والنسيب.

2- ومن الثاني: (ائتلاف اللفظ مع الوزن):

مثل أن تكون الألفاظ سهلة في بحر الرجز، فهو بحر قصير راقص سريع فيه طرب، تأتي معه الألفاظ الرقيقة، السهلة.

3- ومن الثالث: (ائتلاف المعنى مع الوزن):

مثال ذلك: البحر الطويل وتفعيلاته:

فعولن مفاعيل فعولن مفاعيلن... فعولن مفاعلين فعولن مفاعيلن.

وهذا البحر أكثر ما يتناسب مع الرثاء؛ لأن الشاعر يبثّ فيه حزنه، فيحتاج إلى تفعيلات طويلة تستوعب هذا الحزن .

4- ومن الرابع (ائتلاف المعنى مع القافية) :

بمعنى أنه إن كان المعنى قويا تكون القافية قوية مجلجلة، وإذا كان المعنى رقيقا تكون القافية رقيقة (ممدودة) مثل شعر الشكوى، يناسبها أن تكون القافية ممدودة وكأن الصوت يمتد بالشكوى والآه .

*موقف الإسلام من الشعر:

من المواقف البارزة في الإسلام، موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كعب بن زهير، ومع حسّان بن ثابت عندما قال: اهجهم وروح القدس معك. وموقفه مع أميّة بن أبي الصلت، ومع ابن عبّاس رضي الله عنهما.

فالإسلام لا يحارب الشعر ولا يعارضه، بل للشعر عنده منزلة عليّة، ووسيلة للجهاد والدعوة.

- وإذا كان الشعر جميلا وصادرًا من كافر فهذا لا خلاف في قبوله (إذا لم يكن فيه مخالفة للدين) بدليل: استماع النبي صلى الله عليه وسلم شعر أبي الصلت، بل إنه طلبه واستزاد منه.

وأما إذا كان الشاعر فاسقا، وشعره جميلا، فيقبل؛ لأن الكافر أولى منه بردّ شعره، فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قبل شعر أميّة، وهو كافر، فمن باب أولى أن يُقبل شعر المسلم الفاسق.

- وأما الشاعر الذي في بعض شعره فسوق ومجون، فنقول: إنّ الحكمة ضالّة المؤمن فإن وجدها فهو أحق بها، فيؤخذ الجيّد منه ويرُدّ ما فيه فسوق.

أنموذج لشاعر في بعض شعره مجون وفحش، وفي شعره كذلك قصائد امتازت بخدمة الدين والأمة، وفيها معانٍ شريفة:

نزار قبّاني.

ولنزار قباني من الشعر ما حوى فسقا ومجونا، وغزل فاحش، إلا أنه كذلك حوى من الأبيات والقصائد النفيسة ما صدح بها عن واقع الأمة، وعبّر بها عن قضايا تهمّها، كقضية فلسطين، وماضي المسلمين، وتاريخهم في الأندلس، وتاريخ الأمة الإسلامية. فلا يُرفض شعر مثل شعر نزار النزيه بسبب شعره الفاسق.

- كيف نحكم على عملٍ أو نصٍّ أدبيّ مثل (قصائد نزار) أو مثل (قصص نجيب محفوظ) وعندهم مخالفات عقديّة وأخلاقية كثيرة؟ وفي الوقت نفسه فيها جمالٌ وإبداع. فما علاقة الدين للحكم على جودة الأديب الفنيّة؟

لا يصحُّ إنكار الموهبة الفنيّة أو الأدبية للشاعر بسبب ما في شعره من مخالفات. فالإسلام دينُ عدلٍ، يعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، والله تعالى يقول: (ولا يجرمنّكم شنآن قومٍ على ألّا تعدلوا...)

فنحكم على العمل الأدبي بالجودة الفنية، وإن كان فيه مخالفات يسيرة، نبيّنها ونحذّر منها.

فينبغي التفريق بين الحكم بالجودة الفنية والقبول، فحين نحكم بالجودة الفنيّة، فإن هذا لا يعني أننا نقبل كل ما جاء فيه من مخالفات.

فإن حوى العمل الفنّي الأدبي مخالفات يسيرة (إما مخالفة عقدية أو دينية) في جملة أو مقطع أو عبارة، ولم يشمل العمل كاملا، وكان عملا جيّدا، فإننا نثبت جودته، ولا يعني ذلك قبولنا لتلك المخالفات.

فهذا هو الفرق بين القبول، والحكم على الجودة الفنيّة.

- أما إذا كان المخالفات شاملة للعمل الأدبي كلّه، لا تكاد تسلم جملة أو مقطع من مخالفة، مثل الأعمال الأدبية القائمة على المخالفة الدينية المحضة، وشتم الدين ومثله، كما في رواية نجيب محفوظ (أولاد حارتنا)، التي كانت كل شخصية من شخصياتها رمزًا لنبيّ، وشوّه تلك الشخصيات وأساء إليها إساءةً ممقوتة، بل وصل به الأمر إلى ذات الله عز وجلّ! .

فهذا الإبداع الروائي عنده مرفوض رفضا تامّا، وإن كان جميلا وجيّدا من الناحية الفنيّة.

فإن تحدّثنا نتحدّث عن الجانب الموضوعي فيها فقط دون الفنيّ، بمعنى: أن نبيّن فكرتها ونشرحها لكن يكون ذلك من باب التحذير منها.

أبو بكر الصوليّ.

- ناقدٌ من نقّاد القرن الرابع الهجريّ، تناول القضيّة التي تناولها من قبله القاضي (علي بن عبدالعزيز الجرجانيّ) وهي: علاقة الدين بالشعر، في كتابه (أخبارُ أبي تمّام) .

فالقاضي الجرجانيّ مال للمتنبّي، أما أبو بكر الصوليّ فقد مال في كتابه لأبي تمّام، ودافع عنه وقال: "وقد ادّعى عليه قوم الكفر، بل حققوه، وجعلوا ذلك الكفر سببا للطعن في شعره، وتقبيح حسنه، وما ظننتُ أنّ كفرًا يُنقصُ من شعر، ولا أنّ إيمانا يزيد فيه."

ثم قال : و "ما ضر هؤلاء الأربعة، الذين أجمع العلماء على أنهم أشعر الناس: امرأ القيس والنابغة الذبياني وزهيراً والأعشى، كفرهم في شعرهم، وإنما ضرهم في أنفسهم. ولا رأينا جريراً والفرزدق يتقدمان الأخطل عند من يقدمهما عليه بإيمانهما وكفره، وإنما تقدمهما بالشعر."

أنّ الناسَ طعنوا في شعر أبي تمّام، وادعوا ما ادعوا عليه من كفر بسبب شعره، وكفر الشاعر لا ينقص من قيمة شعره، فهؤلاء الشعراء الأربعة... لم ينتقص أحد شعرهم بسبب كفرهم.

وقوله (ما ظننت أن كفرًا ينقص من شعر، ولا أنّ إيمانا يزيد فيه) أن الإيمان لا يزيد من شاعريّة الشاعر، والكفر لا ينقص الشاعرية كذلك، ولو افترضنا العكس، لقلنا:

إنّ عليًّا بن أبي طالب (وهو من كبار الصحابة ومن المبشّرين بالجنّة) أو الصحابة أشعر الشعراء، ولقلنا: بأنّ صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، مثل: حسّان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن زهير، أشعر من المتنبي، وأبي تمام؛ لأنهم صحابةٌ وأكثر إيمانا.

وهذا فهم الفريق الأول لعبارة وكلام أبي بكر الصوليّ.

<u>أما الفريق الآخر:</u>

فهو فريق يرى أن أبا بكر الصوليّ في مقولته تلك، يفصل الدين عن الشعر وظنّوا به كما ظنّوا بالقاضي الجرجاني قبل في مقولته (الدين بمعزلٍ عن الشعر) ، وأنه يريد بعبارته أنّه يجوز للشاعر أن يأتي بالكفر في شعره!. وذلك حينما قال: ما ظننت أن كفرًا ينقص من شعر...